علال الحجام

في الساعة العاشقة مساء

شعر





مكتبة الأدب المغربي

في الساعة العاشقة مساء

صدر للشاعر

الحلم في نهاية الحداد، مطبعة النهضة، فاس، 1975 .
من توقعات العاشق، مجلة الزمان المغربي، الرباط، 1981 .
احتمالات، المتقي برينتر، المحمدية، 1998 .

كتبت قصائد هذه المجموعة بين 1993 و 1999 ما عدا قصيدة « مرايا السين »

علال الحجام

في الساعة العاشقة مساء

شعر

دار توبقال للنشر
عمارة معهد التسيير التطبيقي ـ ساحة محطة القطار
بلفدير ـ الدار البيضاء ـ المغرب
الهاتف: 022.67.27.36

تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
نصوص أدبية

أعمال

بيت الشعر في المغرب

2

الطبعة الأولى 2001

يصدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة والاتصال

رقم الإيداع القانوني : 2001/1382
ر د م ك : 6-07-409-9954

مَساءُ خَلِيل

يا صديقي الصغيرْ
حينَما أتأمّلُ في غفوتي الثلجَ يخضرُّ
يخضرُّ بين البنايةِ والسنديانِ الخفيرْ
أتخيّلُ كفّ النّعاسِ تُشاكسُ
عينيكَ طيفاً يُخاصرُ مشتعلاً
شمعةً في البعيد يمازجُ أزرقُها
في الغيوم الكثيفةِ أخضرَها
تتقطّرُ أنفاسُها
دمعةً، دمعتينِ، ثلاثاً وعشرينَ . . .
تشحُبُ شيئا فشيئاً
وتهجُمُ أَلْويةُ القمرِ

هوَ منتصفُ الليل إلا قليلا . . .

فهَلا سمعتَ كلاميَ ؟ . . . قد عسْعسَ الليلُ،

وانطبقَ العقربانِ، ولم يبْقَ وقتٌ

لغزلِ خيوطِ السّهرْ،

اِلتحفْ في سريرِكَ حلْما سعيدا

وداهمْ نشيدَ الحنان الوفيرْ،

خذْ كتابَكَ واقرأْ قصيدةَ شعرٍ

ودعْ همسةَ الروح تسرحْ

هنالِكَ في عرصاتِ الخيال الأميرْ . . .

آن للحلزونِ المدلّلِ أن يطفئ الثّرثرَهْ

تحتَ دفءِ ملاءتِهِ المزهرَهْ

آن للمرأةِ الطيّبَهْ

أن ترتّبَ أزهارَ أفراحِها زهرةً زهرةً

تحتَ جنْح الظلامْ

وتريحَ المصابيحَ من طعَنات العيونِ

النّواعسِ في الرّحلة المتعبَهْ . . .

خذْ كتابَكَ واقرأْ قصيدةَ شعرٍ

ودعْ همسةَ الروح تسرحْ

هنالِكَ في عرصاتِ الخيال الأميرْ . . .

آن للحلزونِ المدلّلِ أن يطفئ الثّرثرَهْ

تحتَ دفءِ ملاءتِهِ المزهرَهْ

آن للمرأةِ الطيّبَهْ

أن ترتّبَ أزهارَ أفراحِها زهرةً زهرةً

تحتَ جنْح الظلامْ

وتريحَ المصابيحَ من طعَنات العيونِ

النّواعسِ في الرّحلة المتعبَهْ . . .

صَباحُ غَيْلان

لغيلانَ فاكهةُ الصبح طازجةً

في جبال البراءهْ

ورائحةُ العشب حين تلاطفهُ نسمةٌ

يوقظ الكتبَ المدرسيةَ من نومِها

تفجرُ خطواتُه وألاعيبُه الفوضويةُ

نبعَ الدواخلِ

تشعل إشراقةَ العندليبِ

على غصن زيتونةٍ

يستوي مَلكاً في الخمائلِ

هامتْ بهِ وردةٌ

نديتْ في كتاب القراءهْ

يوقظ الشمسَ من نومِها

تتثاءبُ مخمورةً عبِقهْ

فتقومُ وتكْبو وتنهضُ

جذلى تداعبُ محفظتَهْ ...

وها هوَ يوقظ مقلمتَهْ

تتنابزُ أقلامُها بحكاياتِ ألوانِها النّزِقهْ

قبل أن تقطفَ الوشوشاتُ الصغيرةُ

حلمَ خليلٍ يطاردُ

وعدَ الفراشاتِ شطراً من الفجرِ،

في طُرْفة العينِ تُنزلهُ

من ذرى الغيمة الباسقهْ

إلى واجب النحوِ والخطِّ والرّسمِ

واللغةِ العاشقهْ.

في السّاعَة العَاشقَة مسَاءً

عندما نلتقي والمدى يرتدي

مئزرَ الغسَقِ الحارِّ

في ردهةِ السّاعةِ العاشقهْ

يترقرقُ حول أباريقِنا فرَحٌ

تتفتّحُ في العرَصاتِ براعمُهُ خافقهْ

... فجأةً، تشمخُ الكلماتُ

وتـحْمرّ أحرفُها في الدّنانِ

يعثر البيْلسانُ

على جذرِهِ في كتابِ الأغاني

ويفتحُ في سكْرةِ الصلواتِ

طريقاً إلى أصلِهِ في كهوفِ الأساطيرِ

تغفو على القممِ الشّاهقهْ ...

فإذا للدّواخل مسحبُها

ناطقاً بتفاصيلِ سيرتِهِ

في الممَرِّ صعودا إلى هيكلٍ أحمرٍ

درْجةً ... دَرْجَتينِ ... ثلاثاً ...

ويبتدئُ السّفَرُ...

ألقٌ زائرٌ ... ثمّ ينفتحُ العنْفوانُ

على كوّةِ الشّهوةِ الرائعهْ

وحفيفِ الغمامْ

ليسَ في الوقْتِ متّسَعٌ

للبكاءِ على الوقتِ يا سيّدي . . .

. . . وكما هيَ عادتُها فالحساسينُ

يجمعُها الفجرُ لكنها لا تُطيلُ المقامْ

وسرعانَ ما يهجمُ البيْنُ

مستنفراً رعدَهُ وعواصفَهُ

في مهاوي الضّياعْ

فتطيّرُها للأقاصي رياحُ الوداعْ .

خَتْمُ الولاَيَة

أيّها الولدانِ الأميرانِ

مهلاً ...

هَبَا أنّنا قد نَسينا بعيداً

بعيداً هنالكَ – في البيتِ

أو في الممرِّ صُعودا إلى هيكلٍ

أحمرٍ

يستضئُ بإيقاعِ خطْواتِ مَرْيَمَ –

مفتاحَ ختمِ الولايةِ،

كيف نفُضّ ضراوتَها إن تمنّعَت

الظبيةُ النافرَهْ

في وهادٍ تهادى بفرحتهِ الغامرَهْ

هل نقولُ انتهى الأمرُ . . .

أم أنّ في غبَشِ الليلِ

أو سطوةِ الحدسِ

أو شبقِ النارِ

سحراً لمحوِ غضاضتِنا العابرهْ ؟

الـدّورُ الأخـيـر

يرتوي في السّهى الزمنُ الأولُ

يتداعى لصوتٍ عميقٍ

ويقتربُ القلبُ من عشِّهِ يرفلُ

في غلالتهِ،

كيف كانَ يعجُّ بسربِ الوجوهِ الجميلةِ

شطْحاتُها تتأجّجُ في صخبِ

كاحتفالِ الربيعْ

بالصّبابةِ تُشرقُ آياتُهُ

موئلاً لمسرّاتنا

أو تمرّ على عَجلٍ تتهالكُ من تَعَبِ
كالسّلامِ السّريعْ
قدَحاً تتبخّرُ فيهِ مدامةُ أيّامِنا
جرعةً
جرعةً
ولنا الآنَ في سِنَةِ القدرِ
مرتعٌ تتفجّرُ فيهِ أعاصيرُنا . . .

هــهنا تُشرعُ العرَصاتُ نوافذَها
– تتجرّعُ قرًّا وجمْراً –
على بُسُطِ الذكرياتِ الدفينةِ
بين الوجوهِ الحسانْ
بعضُها ضاعَ
في ليلِ منعرجاتِ الزمانْ
بعضُها لا يزالُ
يُغالبُ في المسلكِ الجبَليِّ
حجارةَ أيامِهِ الظالمهْ . . .

رَغْبَـــــة

ما الذي جعل الأفئدهْ

عرضةً لهبوبِ الجراحْ ؟

ما الذي خلْخلَ الأعمدهْ

وغَشِي بالظلامِ عيونَ الصباحْ ...؟

زمنٌ ضالعٌ في الخيانةِ أعرفُهُ،

وأنا لا أبالي ...

يا حبيبيَ،

لي رغبةٌ تتدلّى عناقيدُها

من كرومِ الأعالي

وأنا أنْحني لأغاني غوايتِها

حاضناً طيرَها

ناسخاً غورَها

في جبالٍ تصفّف شعرَ الطبيعةِ

أو في رَوابٍ

تَقيلُ على عتَباتِ الجبالِ . . .

نـارُ منتَـصَف اللّـيْـل

هذه زهرةُ الجلّنارْ

ربما حملَتْكَ إلى

جبلٍ باسقٍ في الظنونِ

عمامتُه سلسَبِيلٌ ونورٌ ونارْ

ربما طالتِ الآنَ أفنانُها

وتلوّتْ على لذةٍ مالكهْ

ربما وخزتْكَ قليلاً

وألقَتْ على عَجَلٍ بكَ أغصانُها الشّائكهْ

من وراءِ السّياجِ الحديديِّ

مقتفِياً في الظلامِ الهديلا

ربما طلبَتْ أن تقيمَ بقلبكَ

قصراً أشدَّ عِمادَا

غيرَ أنّكَ لمْ تكترِثْ فردَدْتَ الطّلبْ

ربما التمَسَتْ بلَدا

في نواصي العَجَبْ

لتودّعَ في شهَقاتِ الفيافي بِلادَا

ليلُها كرَبٌ والنّهارُ التّعَبْ

ربما أدْركتْ أن جذوةَ نارِ المحبِّ

أقلُّ اتقادَا

فأشعلتِ النارَ في طيْلسانِ الطربْ . . .

اَلجميلةُ منهَكةُ القلبِ في هوْدَجٍ لكَ

لا تُطلقِ الصّيْفَ
والعطَشَ المكفَهِرَّ
على جنَباتِ الحديقة
تزْدانُ بالخُضرةِ الحالمهْ
لا تشتّتْ بربِّكَ أوراقَها
في مَهَبّ الرّياحِ
على طعَناتِ المُدى الآثمَهْ.

البُحَيْرة

(1) المقبرة

المدينة تَلبسُ فرواً يُداعبُ نهدينِ
لا يسْجدانِ لغيرِ الهوى المتوَهّجِ
توقظُ أطفالَها باكراً
شهقةُ الألمِ،
يقنصونَ أشعةَ شمسٍ
تنكّر موالُها لغوايتِهمْ
يكنسونَ الشوارعَ خاليةً كالمقابرِ
إلا منَ الصّمتِ يصرخُ والذكرياتِ
تَساقطُ أوراقَ صفْصافةٍ
حلمتْ بالمصيفِ عَنادلُها

اَلمدينةُ ... تقرَأ أوجاعَها في جداوِلِها
ثم تأوي إلى حيْثُ تَسكرُ مدفَأةٌ طرَبا
في الطريقِ إلى ليلِها ...
– من يرتّبُ في الغرفةِ
الرّطبةِ الحطَبا ؟
– لستُ أدري،
ولكنّ ساطورَهُ المتوقّدَ قد تعِبا !

(2) صنوان

يسحبُ الثّلجُ فستانَ صوفٍ
على سطوةِ السّنديانةِ ليلاً ،
يخافُ عليها
وينقشُ أرجوزةً
في صخورِ الأعالي
يغنّي مزاميرَهُ راقصاً
بينَ غصْنٍ من الخيزُرانْ
وغصنٍ تهالَكَ في لوْعةِ الورْسِ فانكسرَ العُنفوانْ
يَتأمّلُ أيامَهُ
ويجسّ أساريرَ أسرارِهِ الصّفرِ
يلعنُ في صمتِهِ المتوعّدِ حمقَ الزّمانْ :

واحدٌ لا يرى ما نرى الآنَ ... ما أسْعدَهْ

ينتشي

ويحاورُ دفءَ خطيئته بسلامْ

واحدٌ يتحسّسُ دمّلَهُ

في الصّقيع يُرابطُ

مرتعِباً في كهوفِ الظلامْ

يصْطلي لهبَ الملح أعْظِمْ بصَوْلَتِهِ ...

ويفكّرُ في خبزِه الفارِّ

في غابِ دجنتِه

والحذاءُ تمزقَ في رجله،

يا لَعَدْلِ السّماءْ !

شاردَ الذهنِ يصْطادُ نجماً وضيئا

يغافلُ حزنَهُ ... ما أبْعدَهْ !.

(3) العنكبوت

لِيَكُنْ أيّها العَنكبوتُ . . .
أحبّ الحياةَ
وأجني من الثّمَراتِ الدّنيّة
في فجرِ أفراحِها مُشتهاها،
وأبلغُ في قطفِ لذّاتِ أدْغالِها مُنْتَهاها . . .
نعمْ، أيّها العَنكبوتُ،
فإِني أحبّ الحياةَ . . . ولكنْ . . . أجبْني :

هلِ الماءُ ماءٌ وقدْ خاصمَ النّبعَ
مجّ سعارَ التّرابِ يردّدُ نَوْحَ الطحالبِ
في الجدولِ العاثرِ
فإذا البطّ في جنَباتِ البُحيرةِ
جُلمودُ صخْرٍ
يُداخلُه الخوفُ أسودَ أسودَ
يقدحُ رعدَ الخرابِ . . .
فليسَ الهواءُ هواءً
إذا صار طعمُه مُرّا !
وهلْ تطفِئ العطشَ المتوحّشَ
كأسُ السّرابِ؟

انتظرْ ... أيّها العَنْكبوتُ
الذي يغزلُ الوقتَ قبّعةً لخميلِ السّكوتْ
لا تعرّجْ على بسمةٍ
في الدّواخلِ مخْضلةِ النّبضِ
تختالُ في طيْلَسانِ المحبّةِ أنهارُها
لا تسيّجْ بَصيرةَ قلبي بأسْلاكِ ليلكَ
إن الرؤى حينَ تخْضَرُّ
أوراقُها لا تموتْ ...
نعمْ ... أيّها العَنكبوتُ
فإني أحبّ الحياةَ
وأجني من الظّلُماتِ
الكثيفةِ فَجْرا ...

■ ■ ■

نـهْـرُ الـعـسَــل

يا غناءُ ارْتَفِعْ في المدى

كتلةً من ضبابٍ شفيفٍ

أَوِ اعْلُ على الموْجِ

أعلامَ نورٍ تفَجّرْ

فأنا الآن أُمْطِرُ أذْنَيْ ملاكي

بمسحوقِ وردٍ وزعْترْ

وأُوثقُ قيْدي بزُنّارِ زيتونةٍ

كي تكونَ السّلامةُ أوفرْ.

سَكرةَ الروحِ
لا تبخلي بالرّحيلِ إليَّ
ولا تبخلي بالرحيلِ إليكِ
بلِ استَنْفري فرَساً تَسْتَحثّ اللظى . . .
وادْخلي زمناً لا يَشيخُ،
اهْجُمي في اليَبابِ بصمتكِ
رعْداً فتبدو خبايا الفجاجِ.
أنا . . . نُزْهَتي في الدَّجى زورَقٌ
مُبْحرٌ في مَتاهاتهِ الخُضْرِ،
تشدو جداولُهُ
وشذى يرْتقي هضَبات النّسائمِ
مُنتشيا فتُضيءُ خَمائلَهُ
صَوْلةُ الأبَديّة
خارجةً منْ قِلاعِ الأزلْ . . .

كيف ينعسُ نحْلُ

العواصفِ في خلدي

حينَ تَسطعُ أفراحُها والأهازيجُ

مفتونةَ الروحِ تُسكرُ نهْرَ العسل

يتَقطّر من شجرٍ مُثْقَلٍ بقطوفِ صباحٍ أطلْ ؟!

كيفَ يخبو لهيبُ

المواويلِ في بُلجة النّايِ

والكأسُ تشدو معتقةً بين كفّيْ مُشعشعةٍ

يترقرقُ بركانُ رغبتِها المشرئبّةِ

من جبلٍ مرْمَري ؟

■ ■ ■

مُهْرَتي ...

لا تضِنّي عليَّ بمزمورِ حنوكِ

يحضنُ إشراقةَ المستحيلْ

وتفّاحةٍ واحدَهْ

أُكتُبي في المدى

قُبْلةً بنفورِ النخيلْ

على صهْوةِ الفجرِ تنحتُ ليْلَ الهديلِ

اكْتبي باصْطيادِ البعيدِ

البعيدِ قصائدَيَ الواجدهْ

هَدْهِدي بصَدى وشْوشاتِ الأماسي الحِسانِ

أراجيحَ عشْقٍ تُرَتّبُ حباتِ

عقْدِه أغْرودةٌ ترتوي

بنداءِ البراعِمِ حُلْمَ النّدى

فتَرُدُّ صداها جبالُ الدّقائقِ حينَ
تُفَرِّ
قُنَا . . . و
تُـ
شَـ
تّـ
تُـ
نا
ثم تجمعُنا في بِداية كلّ زقاق طويلْ . . .
وخُذي لقطتينِ
لأحلامِنا

خلفَ شوْكٍ تتوّجُ لعنتَهُ الزّهَرَاتُ
أمامَ سِياج الجنونِ الجميلْ
وارْسُمي صورتينِ
لأعنفِ أيّامِنا بدمِ الغَدِ
يَغلي ينظِّمُ إيقاعَ نبضاتِنا الشّاردهْ.

■ ■ ■

باكِراً . . .
أيْقظي حلَماتِ الخُزامى
وغنّي لَها كيْ تُحِسَّ شذاها عزيزاً موقّرْ
شيّدي وَطَناً شامِخاً في أَعالي الجَوى
رَفْرِفي عَلَما
لا وُجودَ لقيْدٍ على أرْضهِ

... ثـم نادي الدّوالي ودُلّي عَناقيدَها
المشْتهاةَ على نَبضِها
خلفَ أفْنانِك الغرّ يغوي الثّريّا
فقدْ تَتَهَجّى حُروفَ عُلاكِ وتسْكرْ
أُكتُبي بشُموخِ ثُمالتِها وعْدَكِ الغَضّ
برْقاً فينْسابَ صمْتُ الدّياجي
اهْجُمي في اليَبابِ بصمْتِكِ
رعْدا فيَحْلو كَلامُ الفِجاجِ.

■ ■ ■

كيْ أكفّرَ عنْ عَبَثِ الرّيح بالنّارِ
ها هوَذا السّرُّ أوكِلُ مِفتاحَهُ
لندائكِ يلهثُ غيْثاً يُعيدُ الفَيافي إلى ظلّ غابهِ

يَزرَعُ مُستبشِرا كوكباً ساحِراً في الليالي العِجافِ
ثقي بالهَوى المتغطْرِسِ في مُهجَتي
أنّني أرْتَوي منْ حِياضِ البلادِ التي دمّرَتْ
جنّتي أمَدا، ثم تغمُرُني غيْمةٌ تستظلّ بريْحانةٍ
تقتفي خطَواتكِ في التّيهِ تُخرِجُ من قُمْقُمِ السّنَواتِ
طُفولَتيَ المارِدهْ
حينمَا نلتقي
حلْمَ ثانيةٍ واحدَهْ . . .
وتحضنُني نَشْوةٌ عذْبَةُ الرّعَشاتِ
تُفاجئني نبَضاتي بِألا
انبعاثَ لقلبيَ إلا على أرضِكِ الخالدَهْ.

تَجَلِّيَاتُ الوَجْه المقَنَّع

1 . تجلي الشغاف

لكِ المجْدُ أيّتُها الكلْمةُ المسْتَهامةُ،

هذا دَمي . . .

يرْتقي في الظلامِ جبالاً مُضَمّخةً بالصّهيلْ

لا يَحنُّ إلى لحظةٍ عاتيهْ

تتلفّعُ بالوَهْمِ مَغْلولةً بالذّبولْ

تزوِّرُ صفْحاتِ أيامه الآتيهْ

لا يرى لمنِ ارتَهَنَتْهُمْ نَواصي الطّلولْ،

سوى نُصُبٍ وهَياكلَ مَكْسُوةٍ بالعَراءِ

و ممحُوّةٍ بالكساءِ

و مسْبوكةٍ بالنّعاسِ الطويلْ،

يَشحذونَ الخَناجرَ منْقوعةً بالزّعافِ

يقبّلها خنجراً خنجرَا

ثمّ يزرَعُ مُعْجمَها المتآكلَ نَيْلوفَرا،

عابِقاً بأغاني الشّغافِ.

2 . تَجلِّي النَّديم

(هَزارٌ مَحَضْتَهُ فاتِحَةَ الماءِ
يملأُ كأْسا يُراودُها ساعَةً،
لا تلينْ
ويكبُرُ في بيدِه عوْسجٌ
يَطعَنُ الياسمينْ
طعْنةً ماكرهْ
يرشفُ الماءَ ... ثمّ يَعُلّكَ خمْساً
تُسافرُ في مَلَكوتكَ سرّاً منيراً
وفي غفلة من حصارِ اليقينْ،
تَرْتقي لَهَباً للطفولة
يحرقُ في طوْدِهِ قلعةَ الذاكرهْ
فيصيرُ
دُجاكَ الشّجِي شاطئاً للجنونْ
واللّظى باخِرهْ ...)

3 . تَجَلِّي العَطَش

صبرنا على عَطَشٍ سَنَةً كامِلهْ
ولما احتَرَقْنا
ودارتْ حُميّا الغَبوقِ بشَهْدِ الغديرِ
تغَضّنَتِ الرّوْضةُ الذّابلَهْ
وما غَنّتِ الكاسُ في سَفَرٍ قبلَ هذا الفناءْ
وما داعَبَتْ شمْسُها وتَراً يَتلمّسُ سِحْرَ البَهاءْ
ولكنَّ سِرْبَ الجرادِ المباغِث
داهَمَ في الحقْلِ أُغرودَةَ القمْحِ
فاقْتَلعَ اللحْظَةَ الراجِفهْ
ولما انخطَفْنا
بمقرُبَةٍ من يَنابيعِ نهْرِ
تعطّلَتِ الشّعلةُ الوارِفهْ . . .

4 . تَجلّي الرّيح

(تُوَزّعُ ريحُهُ

أوْصافَ نايِكَ

بينَ الصّحابْ

وتلذغُ بسْمَ النشيدِ وتَسْرحْ

أحابيلُها تنْتَحي كُلَّ بابْ

« گلّبا،

ودِنْ وَدَا

كِيدو لي مَحْ مَحْ» . . .)

5 . تَجَلّي الذِّئَاب

لمنْ يفْتَحُ الآنَ غاباتهِ الفاتناتِ الربيعُ،

وتزْهو الأغاريدُ في عُرسِهِ!؟

سيّدي الشّعرُ

سِرْ في مَسالكِكَ الخُضْرِ

لا تلتفتْ للوراء

وكنْ في الغوايةِ أحْلى عَشيقٍ

يُراودُ نهْراً على نفْسِهِ

وكنْ في الرّمايةِ أبْصَرَ نَبْلٍ

تَغارُ الفوارِسُ من بَأسِهِ

وَلَداً

كاللّظى

يمتطي غَدَهُ

ويُغافِلُني

ذاهلاً في دُروبِ الطفولةِ

بينَ الأباطحِ و القننِ

قاطِفاً زهْرةً يستظلُّ بأشواكِها

ويُناولُ أكمامَها ندَّهُ . . .

والذّئابُ

بمقربَةٍ من سِياجِ الهَوى

خُذُلٌ في المدينةِ،

إنّ رواحِلَها غادَرَت

في المصيفِ الثّغورَ القَصيّهْ

يُساورُها مطمَحٌ للغنيمة

أو مهْرَبٌ من شِراكِ الهزيمةِ

أو موعِدٌ للرّجوعِ إلى اللحظاتِ العَصيّهْ،

فهلْ يَهْزِمُ البحرَ مُنْكسِرٌ

لا يُقاوَمُ

ذو علةٍ،

ويقهْقهُ بعْدَ رَوِيٍّ ختامِهِ

وَصْلٌ رَهيبٌ

تغرّبُهُ عتَمَاتُ الرّدى !؟

تلْكَ بَوّابَةُ الكَهْفِ . . .

لكنَّ للشّعْرِ عَنْدَلَةً

تَسْتَضيفُ أغاريدَها الخضْرَ صفْصافةٌ . . .

تغنّي لعيدٍ

تُعَطّرُ آياته صَلَواتُ العناقْ

وكَفْكفةً لدموعِ الرفاقْ

تُضيءُ المَدى . . .

6 . تجلّي الخذْلاَن

(عَنيدا كحُلمكَ

يُزبِدُ بحْرُهُ

ثم يَعُلُّكَ،

طوبى لودٍّ يُعربِدُ ... لمْ يَصْفُ لَكْ

تَحامَى عليكَ ذئابَهُ كيْ يقْتُلَكْ

عرَفْتَهُ ...

نِعْمَ الصّديقُ

ومنْ ورَعٍ كان يجتَثُّ جذرَهُ

يزرَعُ آخرَ

في الفَلَواتِ البَعيدهْ

ويَخذِلُهُ ...

مثْلما خَذَلَكْ !)

مَـقَـامَـات

إلى محمود ميري

1. مقام الرّحيل

ماذا وراءَ احْتفاءِ الطريقِ بأحْجارِها
سوى دعْوَةٍ للرّحيلْ
إلى جُزُرٍ في الضّياعِ
مُدجّجَةً بالتّرقّب،
طافحَةً بالتّعَجّب،
صاخِبةً بالسّؤالِ الجميلْ . . .
اسْحَبي – عن صَباحٍ يوشّحُ عينيكِ – يمَّ الظلامِ
وطوفي على عرَصاتٍ
تُغازلُ أجملَ أوكارِها،
لعلَّ هديلَ الحمامِ
يُفَجِّرُ ديوانَ أنهارِها
يقطِّر منْتشياً في كمائمِ ورده
نشرَّ المدامِ
فيفتتحُ السّفَرَ العذبَ مجذافُ أوتارِها !

2. مقام الوصايا

لمن تكتُبينَ الوصِيّةَ بالدّمِ؟
إِن الوَصايا ممزقةً في جبالِ المحالِ
كؤوسٌ مكسّرَةٌ، ليْلُها
كتابٌ يُسَوِّدُ أحْرَفَهُ المحْوُ
تكبو على حَزَنِ القَهْقَرى خيْلُها . . .
تَحامَيْ لهيبي على بَرَدٍ في الوسَنْ .
بغُصْنٍ منَ الصبَوات نَدي
علَّ وجهتَنا يرتَقي ظلُّها
عقَباتِ الهواجرِ مخنوقةً بدُخان المحَنْ،
واشْهَري بسْمةً في فُلولِ الشّجَنْ
عساها تهلّلُ باقةَ حُلْمٍ
تُهَدْهدُ مهْدَ غدي
وتُعانقُ رحلتَنا يرتوي نخْلُها . . .!

3. مقام البصيص

ماذا وراءَ الشّرودِ العميقِ؟
الرّياحُ الجَسورةُ مكسوّةً بالقذى
لا تذي سروةً في الصّخورِ
تَغوصُ شرايينُها
و الدَّوائبُ منها نسورٌ تُطاولُ غيْماً
تشَهّى قطوفَ المصيفِ
تسلّلَ مَوالُها للجذورِ
تسلّلَ شَلالُها لبيادِرَ أوغَلَ فيها الحريقْ
تسللَ للنّورِ منْكسرا في الجحورِ،
فهبَّ من الفرَحِ المشرئبِّ بَصيصٌ
يعلّلُ جُرْحا ببلْسمهِ
والظلامَ بأنجمهِ
والفيافي بأمطارِها
والقوافي بأزْهارِها.

أكَاسْيَا الحَنين

لتَازَةَ بابانِ :

بابٌ لفَجْرِ المدينةِ ترْنو

و تصْفعُها الرّيحُ

حتى تَئنَّ المساميرُ فيها

يُواسي صَداها الرّتاجينِ

يصْطَكُّ من فَرْطِ إِبْحارِه المرِّ دَنٌّ،

وتشكو المغارَةُ من ذِكَرِ الظاعِنينْ

عندما يفْقدُ الطيْرُ خِلا

على جذوةٍ تلتَظي

في مَحَطاتِ

نوْحِ الحنينْ

وبَابٌ

لقلْبِ الحبيبةِ أغنيّةٌ للجنائنِ

تهفو لطيرٍ أليفْ

وتَبحَثُ عن نغَمٍ ضائعٍ في شوارعَ تَغفو

وينْسَلُّ من شهْقةِ الرّوحِ مُزْنُ

فيعلو نَخيلُ هواها

يُثَبِّتُ في رَحِمِ الأرضِ نورَ الرّتاجِ،

هلْ كابَدَتْ غيْمةٌ من تَساقُطِ أوْراقِها

في الخريفِ المخيفْ

— مثلَما في المتاهةِ كابَدْتُ —

لما الجَفافُ اعْتراها،

وغرّبَ في المدُنِ الزّائفهْ

ولَداً

طاردتْهُ خيولُ الظلامِ مُجنّحَةً

يَشحَذُ السّيفَ بالجرْحِ

ينهشُهُ في العَراءْ،

يُلجِمُ الرّيحَ

إنْ جَمَحَتْ في المدى خائِفَهْ

حَجَرٌ . . .

قلبُهُ

يقْتفي في المتاهةِ آثارَ أيْلِ الضّياءْ

يَركَبُ العاصِفَهْ ؟!

وماذا تَقولُ المغارةُ
للأرْزَةِ الخائفَهْ
إذا عَرَفَتْ شقْشَقاتُ عَصافيرِها بعْدَ إبحارِهِ
أنّها لمْ تَعُدْ
هيْكلاً للجنونِ . . .
صلاةً لزرْعِ أكاسْيا الحنينِ
أمامَ دَهاليزِ كعْبَتِهِ الرّاجفَهْ
ولم يَبْقَ منها سِوى صرْخَةٍ في المدى

تَتحارَبُ أحرُفُها
فتُعيدُ العواصفُ بعْضَ الصّدى :
لتَازةَ بابانِ . . .

بابٌ لفَجْرِ المدينة ترنو
لغمْزِ الفراشةِ تحْملُ وعْدَ الغَمامةِ للسّنبُلَهْ
وتصْفَعُها الرّيحُ حتى تئنَّ
المساميرُ في دفّتيْها.

وبابٌ لقلْبِ الحبيبةِ تهفو إلى
نغَمٍ ضائعٍ ظلّ يبْحَثُ في كبَواتِ
انتظارِهِ عن شَفَتيْها ...
يَنوسُ مُنى
بين مقْصورةٍ - هَدْهدَتْها البُحَيْرةُ -
والمقصَلَهْ ...

ظَهيرةُ يوْم الأَحَدْ

لَكَ يا صاحِباً

يَسْتَظِلُّ بأغصانِ داليةٍ

ألَقُ اللحَظاتِ البَهيّةِ تغنمُ أطيارُها

شمْسَ يوْمِ الأَحَدْ

لكَ في مشتَلِ الرّوحِ

فاكِهَةٌ تهْتَدي لمتيّمِها،

وهوى خارِقٌ وقَوافٍ أَلَذْ

أغْنياتٌ شدَتْها زُهورُ البَراري

مُحَجّلة العُرْفِ تصْطادُها

بينَ جزْرِ الضّياءِ ومَدِّ الظلالِ

لَكَ قارورَةٌ

حمَلَتْها سفينةُ نوحٍ لوعْدِ الجدودِ

تَفوحُ جَدائلُها،

وتبوحُ بتيهٍ جَداولُها . . .

يَعرِفُ البُلبلُ المتوَقّدُ

أشجارَهُ المثْقلاتِ بأثْمارِها

تَتَدافَعُ سَكْرى أيائلُها،

يبْدَأُ الوَعْدُ منتَصِبَ الرّأسِ
هل يَبْدَأ الشّطْحُ
– مُنْفلتاً منْ مغارِتِهِ – في الرّوابي
أمِ النّسْكُ أجْمَلُ في الدّيرِ يَحرسُهُ
الشّعْرُ والعُودُ والظبْيَةُ العاشِقَهْ ؟

عزْفٌ منْفَرد

شيّدَتْ حكْمَةُ العودِ إيوانَهَا
في جنانِ المباهجِ . . .
ها لحيَةٌ حالكٌ ليلُها انْتَعَلتْ
خفَّ أشواقِها
للذّهابِ إلى نَهَرٍ يحْتَسي
عَسَلا بكؤوسِ المسَا
تَتَهدّلُ أثمارُها فَعَناقيدُها أنجمُ . . .
هَدْهد الوتَرا
وتَسَلّقْ شُعاعا
يَهشُّ جيادَكَ
من وطنٍ يرتمي ضَجِرا
في سَرابِ التّرابِ
إلى وَطنٍ راقِصٍ
في السّحابِ

إِن هذا المدَى

دوْرَقٌ تَتكَسّر أفراحُهُ

في وِهادِ الأسى

غيرَ أنّكَ حينَ تلاطِفُ أوتارَكَ القُزَحيَّةَ

في خفّةِ الظبْيِ

ترنو النجومُ مُشعشعةً

فأخافُ على الجبلِ المرمَرِيِّ الذي يَتلفّعُ

مُرْتَعِشا بالحنينِ يُشرّدُهُ

أن يُداهمَهَ نغَمٌ أحْمَرُ.

وكما السّيلُ حينَ يهبُّ
يهبُّ إِلينا سريعاً
أخافُ على غابةٍ راعَها قمَرُ
– تَنْتَشي أرْخبيلاتُهُ فيرتِّقُ أسْمالَها
الأرزُ في برجِهِ يسْكُرُ –
أن تُلاحقَها جمْرةٌ منْ
دماءِ
بَراكينِهِ
تقْطرُ . . .
. . .
. . .

نَزْهةٌ حَالمة

كالفَراشِ المسافِرِ تنْتَقلونَ

على شَهْقَةٍ صاديهْ

من دنى سَرْوَةٍ في جفونِ المحالِ

إلى زهرةٍ شاديهْ

يا لَهذا الجنونْ

في أراجيح عشّ يُدفِّئُ بَيْضَ الحنينْ !

تستوي في الأغاريدِ قبّرةُ الوقتِ ترْتاح مَزْهوّةً

ترْتدي في الظهيرةِ قفطانَها

طافِحا بلظى رغْبةٍ ترْتوي

كالحمامَةِ ملْفوحةً بِجَوى

تَتَناسَلُ نيرانهُ

في الطريقِ إِلى فِتْنةِ العمر تَسْمَعُ

صوتَ المغنّي يُغنّي :

حَرامٌ على كِلْمةٍ زاهِدهْ

أن تخونَ يَنابيعُها وردةَ الشّفتينْ

وحَرامٌ على مَلَكينْ

يَتّما العشقَ أن يَحفرا

بنجيع فؤاديْهِما أحْرُفَ الشّاهدهْ !

اسْتراحَةُ المحَارب

صاحِبي يَتوغّلُ
في غابةِ النّكتةِ المغرِيَهْ
وأمامَ خريرِ الأحاديثِ
يَفْتَحُ نافذةً في السّهوبِ
على كرَزِ السّخريَهْ
موجِعٌ ضحِكُ الطفلِ في أسْرِهِ
أيّها الولَدُ الأبّهَهْ
موجِعٌ أن يُزقزقَ في قفصٍ نوْرسٌ
ولكَ الآن أنْ ترْتخي
هانئا عندَ أقدامِ أمواجه
وتضمّدَ آثارَ جرحِكَ بالقهْقَهَهْ
فقليلٌ ... قليلٌ من الفَرْحِ يَهزِمُ
جيشاً منَ الحيرةِ المعديَهْ

هذه هدنةُ الأقْحُوان معَ الرّيحِ

في ليلةٍ عاصفَهْ

أو إيابُ المحارِبِ يوماً إلى أهلهِ

فَرِحاً في الظلامِ بباقاتِ نُصرْتَهِ

وخُدوشِ هزائمهِ

غانماً منْ عشيقته قبلةً خائفَهْ

هوَ ذا في السّريرِ يَرى حولَه شبَحاً

فيقولُ لها :

هذه غفْوةُ الظل ينْثالُ ملتحِفاً

بالشّعاعِ الشّفيفِ

على نقَراتِ طبولِ الهجيرةِ

في اللحظةِ الرّاعِفَهْ ...

لحظةً . . .

كيفَ للذكرَياتِ الطعينةِ أن تَسْتَريحَ ؟

أنا مُتْعَبٌ يَتُها القبّرهْ

ورياحُكِ أقوى قليلاً من النّسَماتِ

وأعلى كثيراً من الشّجرهْ.

أرْخَبيلُ الـملكَة

يَتُها الملكهْ

حين يزهر همسُك في مسمعي

تورق الرّيَبُ

والجدارُ يرقُّ، ترقّ المصابيحُ مجدا ... على غير هدْيٍ

يهرول خلف أبالسة العشق جمعا وفردا

فتشتعل السّحبُ

وتفيض المتاهاتُ نهراً

من الشّعْر يُبحرُ أخضرَ أصفرَ أحمرَ

في دهشة الشهواتِ التي قد عرفْتِ ولم تعرِفي

تترنّحُ في أرخبيل العراءِ

وتنْسَكبُ ... يتها الملكهْ

ثمّ أعرفُ ما خلفتْه لياليكِ لي
من عواصفَ حافلةٍ بالغيابْ
ومسالكَ مشرعةٍ للسّرابْ
غير أن أوارَك لا ينطفي،
يا لهذي الغوايةِ من تركهْ . . . !

حينَ أسْمَعُ صوْتَكِ تعلو
صُروحُ هياكلِ أيامِنا المثْقَلاتِ بأعْبائها
مُتَلألئةً في عِنانِ السّمَا
أملاً يصفَعُ السّأمَا
أتَحسّسُ وجهَ طفولتيَ الحالمهْ
بُلبلاً راقِصاً بينَ فَرْحٍ وفَرْحٍ

على دوحةِ الزمنِ الرّاجفِ
أتقرّى أناشيدَها القُزَحيةَ في التلةِ الغائمَهْ
فيُفاجئني عطرُكِ الغَضُّ
سِرْبا يُفتّشُ بعضُ حَمامِه
عن إلفهِ الراكنِ
... في مكانٍ هنالِكَ

خلفَ جدارٍ قديمٍ
يسيّج مقبرةَ الزيزَفونِ
يُفاجئني رعْشُ قبّرةٍ مدْهشٍ عيدُها ...

تبتني عُشّها بِبَخورِ الحنانْ

فوقَ سُرّة صَفْصافَةٍ لم تَشِخْ قطٌّ

بينَ شعابِ الزّمانْ

حفظتْ منْ لقاءٍ صريعْ

ما رأتْ من قصائدِ وجْدك

عن ظهْرِ قلبٍ

وأفشتْ مواويلَنا للرّياحِ التي

بَذَرتْ وعْدَها

في شقوق الرّبيعْ . . .

يمتطي غبْطةَ العنْفُوانْ

يمطرُ البيدَ عُشْباً وغابات أرْزٍ وسَرْوٍ

تُدغدغُها غمْزةُ الأقحُوانْ

يَتَدَفّقُ شلالَ نورٍ تُهدهِدُ زورَقَهُ

رعشةُ السّنديانْ . . .

القَلْعةُ الثّامنَة

(1)

سلامٌ على سيّدٍ لا يَرُدّ السلامْ
سلامٌ على صاحبي
سلامٌ على صاحبٍ
لم يعدْ صاحبي
وعلى من محا منْ مُذكرةِ الجيبِ
اِسمي وعنوانَ بيتي
اتّقاءَ الرّقيبْ
على جاحدٍ وحبيبْ
سلامٌ على من نَسوني وقدْ زُرتُهم في المنامْ

هيَ هيَ على حالِها القلعَةُ المشرئبّةُ

تومِئُ بينَ الخمائِلِ

إيماءةً للمعزّةِ تخبو خيولُ براكينِها

وإيماءةً للمَعَرّةِ تحبو على بطنِها

تَتثاءَبُ في أدَبِ

بيْدَ أنّ الغزالةَ مرتابةٌ في المَدى

من هديلِ النّدى

لم تعدْ ترتدي عطرَها في المساءْ

لم يعدْ يشتهي غمْزَ

زينتِها لغَطُ المشرَبِ.

يُلوّح قِرميدُها لي بعيداً
بمنديلِه الأحمَرِ
يُصلي صلاةَ الغيابْ
عابِرا روضةَ الذكرياتِ الشّفيفةِ ضَجَّتْ
مزاهرُها بالغناءِ
تَهابُ العيونَ التي
سَقطتْ في العَماءْ
لمْ تُصدّقْ أحابيلَها
فَضحتْها القناديلُ في ليلِها
تهابُ الزهورَ التي خاصَرتْ نارَها
في المفازةِ أدمعُها المستْباحةُ، لا . . .
لم تُصدّقْ . . .
وهبّتْ سريعاً لمعولِها
تَقتفي خطواتِ الضّياءْ . . .

(2)

اَلأغاريدُ تَنْسابُ

قدْ خانَها في مَقامِ البياتيِّ مطلعُها

لم أُصَدْ . . .

عَطِشتْ في توهّج مَوّالِها

فسقاها لهيباً تَمرَّدَ منبعُها .

. . . آهِ منْ صَدِئاتِ المُدى،

طعَنتْ نبَضاتِ الوليدْ

من دوالي النّشيدِ إلى زقِّهِ

حنيناً يُسافرُ في شوقِهِ

سَقَطَ عوْسجةٍ بقيتْ في طريقِ البعيدْ

طيلةَ الحوْلِ تختالُ مَكسُوّةً

بالعواصِفِ راعِفةً

والعواطِفِ شادِقةً

والمعاطِفِ باهِتةً

بعضُها واغلٌ في اغْتصابِ الرّغابْ

تتغَيّرُ سحْناتُه في الدقيقةِ عشْراً ويلهَثُ

يلهَثُ خلفَ السّرابْ . . .

(3)

هيَ هيَ على حالها القلعَةُ الثامنَهْ

والحساسينُ مزهُوّةً

هاجرَتْ في الصّباحْ

أخرجَتْ من رُكامِ الجليدِ مزاميرَها الناعمَهْ

وابْتدا سَفَرٌ أخضرُ

عبَقاً حاضناً ألقاً في الشّراعْ.

غيرَ أنّ الظباءَ التي افْتتنتْ بالقناعْ

رابطتْ أرَقاً

في الظلامِ الصُّراحْ

سلخَتْ جلدَها فاختفَتْ في

الزّحامِ أناشيدُها الحالمهْ

....

....

(4)

لوْ تَعودُ المياهُ إلى منبعِ النّهرِ
لاعْترفَتْ بجُحودِ اليَبابْ
لوْ يعودُ الزمانُ إلى أصْله
لاستوى جمرَةً
تتراقَصُ أحْرفُها
متلألئةً في كتابْ
لا يعادلهُ قَمَرُ
لا يغيّرُ رسمَه كنزٌ ولا عُمُرُ

يمتطي صهوةَ الوشْمِ مُلتهبا ويُطاردُ

زينَ الظباءِ الحزينةِ في

ليلهِ الفارِّ نحوَ

المغارةِ مسكونةً بالخرابْ

يَتبخّرُ دخانُهُ

يَتجَشّأُ

– إنّي أجلُّكَ . . .

– كلا،

كلامٌ فصيحٌ

على حُذْوةِ الرّيحِ عمَّ الفَضَا

يا لهُ منْ هُراءْ

لا . . . رنينَ لطبْلتهِ في الهواءْ.

. . . .

سلامٌ ... سلامْ

على الغابةِ الساكنهْ

على حَجَرٍ

على شَجَرٍ

سلامٌ على ربْوةٍ ودّعتْني بأحلى الكلامْ

سلامٌ على الرّمْحِ والجرْحِ

والثلْجِ والعشْبِ

والمئذنَهْ

سلامٌ على القلعةِ الثامنهْ.

مَرايا « السِّين»

(ن)

تغيبُ الشّمسُ أو تبْدو
على مرآةِ نهْرِ « السّينِ»
سيّانِ الدّجى والنّورُ
« إيفّلْ» شوكةٌ في القلبِ سامِقةٌ
وأحمَدُ في دهاليزِ الدّجى القاسي
جوازٌ حافلٌ بالنفْيِ

أحمَدُ في مخافِرِهم جِرابٌ مُثْقَلٌ بالشّوقِ
يَقضي ليلةً أخرى
على الإسْفلتِ مكلوما
كأنّ جبينَه الشّمْسيَّ
قنبلةٌ على وشْكِ انفجارٍ
يُخمِدُ البوليسُ بَلواها،
وأمتعةٌ مطاراتُ العمى الدوليّ تَخشاها
ذاكَ « سَبُو » الذي في القلبِ يَعرفُهُ
نشيداً من أناشيدِ الهوى البدوِيِّ
يمتزجُ الثّرى والنّورُ فيهِ
وفوْحَةُ الأعشابِ
أحلى من عطورِ المسكِ والرّيحانْ .

(ي)

ذاكَ « سَبُو » الذي في القلبِ يَعرفُ

– منذُ كانَ مُحاصَراً بكتيبةٍ سوداءَ –

أنّ أباهُ ما صلّى سوى للأرضِ

حيثُ الأرضُ ما خانتْ ولا انسحبَتْ

وأنّ أباهُ ما خانَ التّرابَ هُنَيْهةً

وهْوَ العروقُ تطولُ في نُعمى روابيهِ

روى ما خطهُ المحراثُ من عَرَقِ الهَجيرِ

وسُمرةِ الزّندينِ والصّدرِ

فهوَ دمٌ يشقّ منابعَ الفقراءِ

إذ جفّتْ حِياضُ الأرضِ
كيْ لا يَستحمَّ الذئبُ في النّهرِ
وما أقسى الهوى الغجَريَّ،
قالتْ مرةً أنْوالُ :
عرجاءُ أنا يا أهلُ من منْكمْ
يسوّي ساقيَ اليُسرى ؟
تبسّمَ تحتَ وقْد النّار والبارودِ
قالَ : أنا
إليكِ الساقَ يا قلباهُ والنفْسا
فكانتْ ساقُ أنوالَ الحبيبةِ ساقَه اليُسرى

فهُوَ الآنَ في سوقِ الكسادِ المرِّ
أعرجُ في دروبِ « البُرْجِ » يحكي عن جَحيمِ الحربِ،
في جلبابِه الأيامُ مُعتمَةٌ مسالكُها على أوداجِه سِكينْ
وفي عينيهِ ألفُ غزالةٍ تأتي مع النّسَماتِ
تدفعُ دهرَهُ المرصوصَ في العربَهْ
يُداهنُ جرحَه المعتادَ يملأ بالمنى قلبَهْ
يبيعُ البرتقالَ وفرحةَ النّعناعِ
يمنحُ بسمةً خضراءَ بالمجانِ
للشهداءِ والعملاءِ والشارينَ والماشينْ !

(س)

وأنتَ هناكَ

بينَ «السينْ» وبينَ دموعِكَ الشّمطاءِ

سيفُ الحارسِ الجافي

وبين الكاسِ والشّفتينِ أربعُ أعينٍ

تُحْصي عليكَ النّشوةَ التّعبى،

وعيناكَ اللتانِ انهدّتا بالصدقِ تنطفحانِ

... لا تشردْ،

وحينَ ترى أقاحيَكَ الغريبةَ

في مرايا «السينِ»

يرنو في الظلام المر نهرُ « سبو »
يُكفّرُ عن خطاياكَ
وتذكر أن فيهِ النورَ والنوّارَ
والنّيرانَ والظلماءَ
تبتسمُ الجروحُ هُنَيهةً
وتعاودُ الطعَناتُ عادتَها :
أأحمَدُ هل رأيتَ أباكَ موّالاً على جمْرٍ
يطاردُ رجلَه العرجاءَ
والحمالةَ الخشبيةَ العَسَسُ ؟

«ليسَ لدَيّ سيفٌ أيّها الأحبابُ» يصرُخُ،

«آهِ منْ منكم يناصِرني . . .

إذا ما ثار في الأعماقِ وجدٌ نافِرٌ شَرِسٌ،

أعزلُ في الدروبِ أنا

حُسامي الحقّ،

من منكمْ سيشرعُ في الجبالِ البابْ

لكتلةِ أعظمٍ وجوى

يقيني أنّها في الحرْبِ لمْ تُهزَمْ

ومنْ منكمْ يُداوي الجرحَ والأوصابْ ؟»

(٠)

قالتْ مرةً أنْوالُ أذكرُها :

أنا عرْجاءُ . . .

من منكمْ يُسوّي ساقيَ اليُسرى

فكانتْ ساقُ أنوالَ الحبيبةِ ساقيَ اليُسرى

وها هيَ ذي وقد غابتْ بخدْرِ الليلِ

شمسُ اللهِ والفقراءْ

جناني تَفتحُ الفخِذينِ بالمجّانِ للأغرابِ

يا لمكارمِ الأعرابِ !

منْ منّا . . . ؟

فِي دَارة السّهْوَة

(ة)

في دارةِ السّهوةِ
حكوماتٌ تسقُطُ في الظهيرةِ
طوبى لها
وأخرى تقومُ
حينما يُعسعسُ الظلامْ
والأصدقاءُ الظرفاءْ
يُثرثرونْ
فيطمئنّ الجرحُ
يَتهادى غزالاً ذَهَبيّاً
يمضَغُ علْكةَ الكلامْ
مثل منطادِ الإِشاعةِ

تنتفِخُ انتفاخا

وترتقي سلّمَ الأشعّةِ الواهنَهْ

بين سقائفِ الأصيلْ ...

وفجأةً تنفجِرُ انفجارا

فيضحَكُ دُخانُ السجائرِ المهرّبهْ

حتى انكسارِ غمزةِ الفراغِ

في بياضِ الكلماتِ المسهّمَهْ

وسوادِ الفجَواتِ واشتعالِ غابةِ المساءْ

وجفافِ نبْعِ الوقتِ في الكؤوسِ

الأصدقاءُ يقرأونَ تارَةً

بسمةً معرّشةَ الشوقِ في حياءْ

تطبعُها شفتانِ مرتعشتانِ

على خدّ السّماءْ،

ويكتبونَ بالخطّ المسماريّ تارَةً

فرَحَهم حاشيَةً

على متنِ الغُبارِ في الطروسِ.

(و)

نكتةٌ في باحةِ اللغطِ تنتظرُ
رعدَها وعواصفَها
يراقصُ مرارةَ عينيْها القيظُ والحوَرُ
مرتعشَةً تَتدفّأُ
بعمامةِ البخارِ منبعثاً
من الفنجانْ
تغرَقُ في ظلامهِ
فتزهرُ الموائدُ
وتعشبُ الكراسي النديّهْ
عندَ أولِ نقرةٍ
توقّعُها يقظةُ الطيورِ . . .
على بوّابةِ الضياءِ البهيّهْ.

(هـ)

فيْ دارةِ السّهوةِ عينٌ تنامْ

وأخرى تهدهدُ أهدابَ أحلامِها،

– آلو . . . يا غاويَ بركانِ العيونْ

منخطفاً بأدغالِ الجمالِ المتوحّشِ

أما انطفَأ الجنونْ ؟

– . . . هل تسمعُني ؟

آلو . . . هل تسمعُ البهاءَ ضاجّاً

في مغارةِ السّكونْ

عارياً يلتحفُ الرؤى

تحطُّ على كتفيهِ أسرابُ الحمامْ ؟

وها هوَ ذا الوقتُ

تغزِلُ سلطانَ قفطانه . . .

همسةُ النّبزةِ

بسمةُ الملحةَ

دِمقسُ الغمامْ

واحدٌ يتلصّصُ

على خلّبِ البرقِ

وينتفضُ كلما

خطرَ سحابُ القمح

وغابةُ السّنديانِ في الزّقاقْ

وكليلةٍ مظلمةٍ من ليالينا المخيفهْ

واحدٌ كمْ رمى الكتابَ جمْرا

والنسمةَ زوبَعَةً ...

كم هدّدَ الزهرةَ بالعصا والخميلةَ بالقفارْ

... ولم تعدْ تخيفُنا ألفتُهُ السخيفهْ

غيرَ أنّه منذُ سنينْ ...

لا يزالُ يتلصّصُ

من ثقْبٍ ينخرُ الكلْمةَ في الجريدهْ

على نبضِ فؤادٍ مسكونٍ بالحلمِ والحنينْ

مخافةَ عشقٍ موقوتٍ في قيظِ الظلموتْ

يُشعلُ الشّمسَ والتّرابَ برذاذِ القصيدهْ .

(س)

فيّ دارة السّهوةِ كلَّ صباحٍ
جنْباً إلى جنْبٍ ...
تتدافعُ بالمناكبِ في باقةٍ واحدةٍ
زهورُ أبي نوّاسَ
شقائقُ أسخيلوسَ
كاميليا بيكاسو
والسّوسَنُ والرّيحانْ
أكاسيا الحكمةِ والكياسهْ
عواسجُ الكرةِ والرّهانِ والسياسهْ

ومنذُ عقدٍ ونيِّفٍ من الزّمانْ

جنْباً إلى جنْبٍ

تُغالبُ صولةَ العطشِ الخانقهْ

وتمتصّ نفسَ الماءْ . . .

ومثلما تتسعُ حديقةُ الصباحِ

سعةَ السّماءْ

تُطاولُ أسوارَ القلعةِ الشاهقهْ

وتغازلُ أجنحتُها الذابلةُ نفسَ الهواءْ . . .

منذُ عقدٍ ونيِّفٍ من الزمانْ .

فَاتـحَةُ النُّور

إلى الفنانة مليكة أكزناي

للتي كلفتْني لهاثاً وراءَ دمي
أنْحني راكعاً لتمرّدِها
وأغنّي لأفراحِنا الآتياتِ
على صهوةِ الألمِ
ولنا الماءُ في آخرِ البيدِ مُنبجِسٌ
في مهاوٍ تيتّم تهليلَ ألواننا . . .
كلما أزهرَتْ صولةُ الكَلِمِ
حفرتْ دمَعاتُ ندامتِها نهَرا
ولنا الجذرُ في رحِم الأرضِ منغرسٌ
كلما انداحَ في العرَصاتِ
السلامُ، وأخفقَ في لهَبِ الظلماتِ
الحمامُ نداؤُه يُشعلُ
فاتـحةَ النّورِ في الزّمنِ المعْتِمِ.

وأنا جسَدٌ راعشٌ يتوجّسُ من رايةِ القهْقرى
أحفرُ الغدَ نسْغاً لزوبعةِ السّنديانْ
وأرى فرحةً تشتهي عطرَها . . .
لي مصيري يؤرّخُهُ العُنفوانْ
في تناسُخ نيرانِها
أنا في كهفِها أحتمي من جسارةِ سلطانِها
لحظةً تبتدي كلما نحَرَ العقربانْ
خوفَها تتلوّى ثعابينُهُ،
وأنا شمعةٌ ترتوي حيثما
تركبُ الريحُ آياتِ نيرانِها
ويعودُ لشدْوِ سريرِهما العاشقانْ . . .

قمّةُ السّروةِ النافرهْ
نزهةٌ شبقٌ رملُها،
وصلاةٌ لأبهائها ناضِرهْ
مومئٌ صوتُها لعواصفِها
مومئٌ فَننٌ أسفلَ الجذع تلذغُه نحلةٌ لجداولِها
والجميلةُ بين فصولِ النّقائضِ
عصفورةٌ ساحرٌ قيدُها
والكؤوسُ التي عمّدتْ كرمَها ساحِرهْ
جارِحٌ وجْدُها
موغلٌ في الثرى مثلَ أبْنوسةٍ جذرُها
يمتطي خضرةَ الصّبح يرسمُها
القصَبُ
وتداعبُها الشّمسُ قفطانُها ذهبُ.

أَيَادي الرِّمَال

إلى الفنان محمد نبيلي

أيدٍ تُساقي الصّحارى في المدى رغْبةً وهّاجَةً
لا يملّ العقْربَانِ صداها الثرَّ منشرِحاً،
أجّل وداعَ دبيبِ الدّمِ يا مَلكي
فالغيمُ يسرحُ مسرورا على فلكي
يقودُه أرَقُ
موّالُه يختفي في نايِه لهَبٌ يوقدُه شبَقُ
أيدٍ تُصافِحُ أشواكَ الورودِ
من العشْقِ الذي رشَقتْ
أنغامُه الحرْفا
يلتاعُ في شرَكِ

فجرا يخامرُه النّعناعُ و الزهَراتُ الحمْرُ والحبَقُ
أوصالُها لعزاءِ الشّمْسِ
تمدحُها وجداً فينشدُها
مزمورُها الأدْفَا . . .

يا أيّها الرملُ كنْ لي المنبَعَ الأوْفَى
نسغُ الطفولةِ يوقظُ الزّمانَ من العُشّ الذي احتَرَقا
يَحبو على الصّفحةِ البيضاءِ يغمُرُها حبْراً
وألوانَ حلمٍ في المدى ضجّتْ أضدادُها
ثم آخَى صبحُها وجِلا إِغفاءةَ الغبَشِ . . .

يا أيّها الرّملُ كنْ ميلادَها

وانتصرْ للماءِ يمدحُهُ نخلٌ يعاتبُني

في نزهةِ العطشِ !

وانقُشْ ظلالَ الكراكي نجمَةً نجمَةً تزهو على الأفُقِ

في رعشةٍ تزرَعُ الفرشاةَ أزهارُها

اَلضوءُ يغزِلُها والنّارُ تنسُجُها والحرفُ يحضُنُها

بالخافقِ الدّامي في هيْكلِ الشّفقِ

يا أيّها الرّملُ خذْ قيثارَةً والْجمِ

الأنسامَ تلثمُها خميرةُ الوجْد تغوي العُشبَ والشّجرا

في غفلةٍ منْ رياحِ الجرحِ والملَقِ

هذا الفراغُ عماءٌ

يفتحُ التيهَ للألوانِ والكلماتْ

ميعادُه قدْ أضاعَتْ رجلُه دربَهْ

هذا البياضُ عَراءٌ

يُسكرُ الرحلةَ الشّمطاءَ

يزحمُها

كفراً يُخاصرُ إيماناً

وما أجملَ التّطهيرَ بالعبَراتْ

في ظلمةِ تلتظي،

موشومةٍ بجمارِ النّفيِ والغربَهْ.

المحتوى

دار توبقال للنشر
عمارة معهد التسيير التطبيقي - ساحة محطة القطار
بلفدير - الدار البيضاء - المغرب
الهاتف: 022.67.27.36

مطبعة فضالة - المحمدية (المغرب)

ثقي بالهوى المتغطرسِ في مهجتي

أنني أرتوي من حياضِ البلادِ التي دمرتْ

جنّتي أمدا، ثم تغمرني غيمةٌ تستظلّ بريحانةٍ

تقتفي خطواتِكِ في التّيه تُخرجُ من قمقم السّنواتِ

طفولتيَ المارده

حينما نلتقي

حلْمَ ثانية   واحدَهْ ...

وتحضنني نشوةٌ عذبةُ   الرعَشاتِ

تفاجئني نبَضاتي   بألا

انبعاثَ لقلبيَ إلا على أرضكِ الخالدَهْ.

